

أثر متغير الهوية على السياسة الخارجية

Identity Variable and its Impact on Foreign Policy

أ. مسيكة محمد¹

جامعة طاهري محمد - بشار -

messikam@yahoo.fr

تاريخ الوصول 2020/08/22 القبول 2021/05/09 النشر على الخط 2021/10/30

Received 22/08/2020 Accepted 09/05/2021 Published online 30/10/2021

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى معالجة مسألة الهوية وأثرها على السياسة الخارجية، باعتماد مفهوم الهوية (متغيرا مستقلا)، ومفهوم السياسة الخارجية (متغيرا تابعا)، بحيث يتأثر المتغير الثاني بالأول، وتنطلق الدراسة من سؤال محوري مفاده: إلى أي مدى تؤثر الهوية في السياسة الخارجية للدولة؟ وانطلاقا من الأسئلة المتفرعة عن السؤال المحوري للدراسة، سعى الباحث إلى معاينة واختبار فرضية الدراسة والمتمثلة في وجود علاقة ارتباطية بين الهوية والسياسة الخارجية، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي لاختبار الفرضية، وفي النهاية خلصت الدراسة إلى أن الهوية تؤثر في السياسة الخارجية على نحوين الأول مباشر والثاني غير مباشر، ومن ناحية ثانية فإن السياسة الخارجية تؤثر في تشكيل الهوية.

الكلمات المفتاحية:

الهوية - السياسة الخارجية - بنى الهوية - تأثير مباشر وغير مباشر - تشكيل الهوية.

Abstract:

The present study aims at addressing the issue of identity and its impact on foreign policy. It investigates the concept of identity as an independent variable and the concept of foreign policy as a dependent one in an effort to gauge the existence of correlational effect of the former on the latter. The study is premised on the following central question: To what extent does identity affect the state's foreign policy? With other sub-questions derived for the aforementioned problematic, the researcher utilized a descriptive approach to examine the research hypothesis of the existence of a correlation between identity and foreign policy. The study concluded that identity does affect foreign policy in two ways; one direct and the other indirect. Moreover, a reverse effect of foreign policy on identity was also found out.

Keywords:

identity - foreign policy - identity Structures - direct and indirect influence - identity formation

¹ المؤلف المرسل: مسيكة محمد البريد الإلكتروني: messikam@yahoo.fr

مقدمة:

يعد موضوع الهوية من المواضيع الواسعة والمتشابكة، التي تحمل تفسيرات عدة ومعان كثيرة في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية عامة وحقل علم السياسة خاصة، ومن المفاهيم التي استفزت العقل الأكاديمي وأثارت الكثير من الجدل، فكانت بدايات دراسة مفهوم الهوية في مجال علم النفس، ثم انتقلت إلى علم الاجتماع ومنه إلى المجال السياسي، ولم تدخل مجال العلاقات الدولية كدراسة أكاديمية إلا متأخرة، وقد تطورت دراسة الهوية بشكل كبير مما سمح للباحثين بمعالجة قضايا أوسع من القضايا التي بدأت بها، وخاصة في مجال السياسة الخارجية، والعلاقات الدولية كمسألة الأقليات والهوية الثقافية والوطنية.

ومن هذا المنطلق تظهر إشكالية الدراسة الدائرة حول السؤال المحوري: إلى أي مدى تؤثر الهوية في السياسة الخارجية للدولة؟ ويحينا هذا السؤال إلى أسئلة فرعية أولها ما هو تعريف الهوية من منظور مختلف المدارس والاتجاهات النظرية؟ ثم ما هي السمات والخصائص المعبرة عن بنية الهوية؟ وهل العلاقة بين الهوية والسياسة الخارجية ذات اتجاه واحد أم أنها تسير في الاتجاهين تأثيراً وتأثراً؟

وعلى هذا الأساس واعتماداً على المنهج الوصفي كطريقة علمية لدراسة الظواهر تحاول الدراسة من خلاله تقديم تفسيرات منطقية إجابة على الإشكالية المطروحة من خلال ثلاثة محاور يتجه أولها إلى محاولة تعريف الهوية من وجهة نظر مختلف الاتجاهات النظرية، لتقف الدراسة في محورها الثاني عند السمات والخصائص المكونة لبنية الهوية وأبعادها المادية والتاريخية والثقافية والاجتماعية، لتكشف الدراسة في محورها الثالث عن اتجاهات التأثير والتأثر المباشر وغير المباشر بين الهوية والسياسة الخارجية، ومدى قدرة السياسة الخارجية على تشكيل الهوية في حد ذاتها.

وفي هذه الدراسة نحاول الإلمام بمختلف التعريفات التي قدمت للهوية ومن ثم مكوناتها البنيوية والعلاقة بين متغير الهوية والسياسة الخارجية للدول بصورة عامة.

المحور الأول: مفهوم الهوية

نظراً لما استأثر به موضوع الهوية من اهتمام كبير، فإن مفهومها لازال لحد الساعة يثير الكثير من الجدل والنقاش بين الباحثين والمختصين في مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية على حد سواء.

فالهوية عبارة عن مجموعة من السمات التي تسمح لنا بتعريف موضوع معين، فإن التحديد الخارجي للهوية يكون بالبحث عن هذه السمات وتحديدها، فالمجالات الفيزيائية والمادية لا يطرح فيها تحديد هوية الأشياء صعوبة وإشكالا بعكس المجالات الاجتماعية، فليس من السهل تحديد الهوية فيها¹.

أولاً: التعريف اللغوي للهوية

يشير مفهوم الهوية في المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية إلى أنها " حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره".

¹ أليكس ميكشلي، **الهوية**، ترجمة: علي وطفة، دار الوسيم للخدمات والطباعة، دمشق، الطبعة 1، 1993، ص 15-16.

وبما أن المصطلح جديد بالنسبة للغة العربية، فإن المعاجم العربية، كالقاموس المحيط، ولسان العرب والمصباح المنير، تخلو من مصطلح الهوية بمفهومه الحديث، إذ لا تتجاوز كونها مستقاة من الفعل "هوى" أي سقط من عل، أو يكون معناها البئر القعر، وإن لفظ هوية مصدر صناعي مركب من "هو" ضمير المفرد الغائب، المعروف بأداة التعريف "ال" ومن اللاحقة المتمثلة في الـ "ي" المشددة وعلامة التأنيث "ة"¹.

وفي ترانثا الفكري العربي تعريفات كثيرة للهوية فيعرفها الجرجاني: إنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة²، ومعناه أن يكون الشيء هو هو، وليس له مقابل مما يدل على ثبات الهوية³ أما في القواميس الغربية فهي موجودة ومطابقة للمصطلح الأنجليزي (Identity)، والمصطلح الفرنسي (Identité)، معبرة عن خاصية المطابقة أي مطابقة الشيء لنفسه أو مطابقته لمثيله⁴.

ثانيا: التعريف الاصطلاحي

إن الهوية مفهوم قديم ظهر في بادئ الأمر في أوروبا متخذاً طبيعة دينية، لكنه ما لبث أن تحول في القرنين التاسع عشر والعشرين متخذاً "السلالة، اللغة والثقافة" صبغة له، والهوية لكونها من أكثر المفاهيم اختلافاً عليها نظراً لحدثة استخدامها في الدراسات الأكاديمية خضعت لتعريفات مختلفة لكنها تلتقي عند فكرة واحدة هي إحساس الفرد أو الجماعة بالذات⁵.

ويرى (ميلر Miler)، أن الهوية نمط الصفات الممكن ملاحظتها أو استنتاجها، والتي تظهر الشخص وتعرفه وتحدده لنفسه وللآخرين، ويقسم ميلر الهوية إلى شقين: الهوية الذاتية التي تشير إلى الشخص كما يتصوره الآخرون، والهوية الموضوعية العامة التي تشير إلى الشخص كما يراه الآخرون⁶.

ويعرف (أليكس ميكشيلي Alex Mekchilli) الهوية بأنها منظومة متكاملة من المعطيات النفسية والمادية والمعنوية والإجتماعية، تنطوي على نسق المعلومات أو العمليات المعرفية، أو التكامل المعرفي، وتتميز بوحدها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تتمثل في وحدة العناصر المادية والنفسية المتكاملة التي تجعل من الشخص يتميز عن سواه ويشعر بوحده الذاتية. والهوية هي إحساس فرد أو جماعة بالذات، إنها نتيجة وعي الذات بأنني أو نحن نمتلك خصائص مميزة ككينونة تميزني عنك وتميزنا عنهم¹.

¹ مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 2000، ص 85.

² محمد عمر أحمد أبو عنزة، واقع اشكالية الهوية العربية، بين الأطروحات القومية والإسلامية، دراسة في منظور فكري، رسالة ماجستير، قسم العلوم السياسية، كلية الأدب والفنون، جامعة الشرق الأوسط، 2011، ص 35.

³ حسن حنفي حسنين، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، طبعة 1، 2012، ص 17.

⁴ سالم لببض، الهوية: الإسلام، العروبة، التونسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، طبعة 1، 2009، ص 33.

⁵ أسماء حمادي، تأثير متغير الهوية الوطنية في السياسة الخارجية التركية، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، الجزائر، عدد 12، 2018، ص 94.

⁶ علي تعوينات، الذات والهوية في سيكولوجية الشخصية، مقال منشور على الموقع الإلكتروني: <http://educapsy.com/etudes/soi-identite-personnalite-102>، تاريخ الدخول إلى الموقع: 2017/01/16.

فمن هذه التعريفات التي تناولناها سواء على مستوى تراثنا الفكري العربي، أو على المستوى الغربي نجد الهوية كمصطلح تدل على كون الشيء نفسه هو إجابة على تساؤل: من نحن؟ وماذا يمكن أن نكون؟ هي وعاء للعضوية تستند إلى كل أنواع النمطيات مثل العرق والدين واللون والثقافة، فنجد فرنسيس دينك يعتبرها "الطريق الذي يعرف بها الأفراد أو المجموعات ذواتهم أو تعريف الآخرين لهم" ويراها أمين معلوف بأنها عدم التماثل بقوله: "هويتي هي ما يجعلني غير متماثل مع أي شخص آخر"².

ثالثاً: مفهوم الهوية بين الإتجاهات النظرية.

نجدها قد جسرت الهوة بين الباحثين والمختصين في مجالات العلوم الاجتماعية والانسانية ومجال علم السياسة والعلاقات الدولية، بحيث تصب كلها في ذلك التماثل بين أفراد المجموعات والاختلاف مع الآخرين في الآن نفسه .

فقد تناولت الدراسات الاجتماعية تعريفاً مبسطاً عن الهوية بأنها اشتراك الأشخاص في الانتماء إلى جماعة اجتماعية تجمعها روابط نفسية وقيمية مشتركة لها سمات مميزة للفرد من خلالها يتم تمييز الذات عن الآخرين، أي أن الهوية هي معطى يميز بين تشابه أفراد الجماعة الواحدة وفي الوقت نفسه اختلافهم مع الآخر هو خارج إطار الجماعة³، أي التمييز بين نوعين من الهوية وهما "الهوية الاجتماعية" و "الهوية الفردية" وهما مرتبطتان بشكل وثيق.

أما على المستوى السياسي فيعامل "وندت" الهوية على أنها خاصية للفاعلين القصديين تنتج ميولا سلوكيا ودوافعية معينة، أي ذاتية متأصلة في فهم الفرد لذاته، ومدى اعتراف الآخرين بذات الفرد بنفس الطريقة التي يرى بها ذاته⁴.

ويعرفها ديفيد إل روسو بأنها "مجموعة من القيم والمعتقدات والاتجاهات والأدوار المشتركة تستخدم لرسم فواصل بين ما هو داخل الجماعة وما هو خارجها".

وهنا نجد أن "وندت" يميز بين "هوية الأنا" وما يميزها من سمات وخصائص تعرف به ذاتها انطلاقاً من اختلافها عن "الآخر" فيشير بأن هنالك نوعان من الأفكار يمكن أن يدخل في الهوية، تلك الأفكار التي تعتنقها "الذات" وتلك الأفكار التي يعتنقها "الآخر"، فيقول بأن هذه الهويات يتم تشكيلها بواسطة أبنية داخلية وخارجية، ويقدم وندت أربعة أنواع للهوية:

1/ الهوية الشخصية أو التعاضدية: وهي الهوية التي من خلالها يتم استقلال "الأنا" عن "الآخر" أي الهوية الذاتية والتي تتشكل بواسطة أبنية ذاتية التنظيم ومتوازنة، والتي يعود لها الفضل في جعل الفاعلين كيانات متميزة عن غيرها، وهي تتألف من مكون مادي (الإقليم في حالة الدولة)، ومكون غير مادي خاص بوجود إدراك وذاكرة مشتركة بين الأفراد تتصور الدولة على أنها كيان حقيقي قائم بذاته، ويمتلك الفاعل هوية واحدة تنتج عن التفاعلات بين الهياكل الاجتماعية الداخلية، وتعد منصة

¹ العبيدي حبيب صالح المهدي، "دراسة في مفهوم الهوية" مجلة دراسات اقليمية، جامعة الموصل: مركز الدراسات الاقليمية، العراق، المجلد 5 العدد 13، 2009، ص ص 475 . 493.

² أسماء حمادية، مرجع سابق، ص 95.

³ نوربرت الياس، مجتمع الأفراد، ترجمة: هاني صالح، دار الحوار، سوريا، 2014، ص ص 188 - 190.

⁴ الكسندر وندت، النظرية الاجتماعية للسياسة الدولية، ترجمة: عبد الله جبر صالح العتيبي، جامعة الملك سعود، السعودية، 2005، ص 313.

ترتكز عليها الهويات الأخرى، وتوافر هذه الهوية يجعل الدولة كيانا حقيقيا، يمكن الصاق الصفات به، مثل الهوية والمصلحة والنوايا¹.

2/ هوية النوع: هي تصنيف اجتماعي لشخص أو مجموعة أشخاص لهم خصائص وسمات مشتركة هي التي تؤسس لهويات النوع والتي تعتبر بشكل جوهري ذات جانب ثقافي وعادة ما يمتلك الفاعل هويات نوع متعددة، ورغم أهمية "الآخر" في تعريف هذا النوع من الهويات إلا أن عدم اعتراف "الآخر" به لا يقلل من وجوده.

3/ هوية الدور: العامل الثقافي محدد أساس لها، مع الاعتماد على الآخرين باتباع معايير سلوكية تجاههم لأنهم يمتلكون هويات مضادة ذات علاقة بهويته، أن هذه الهوية لا يمكن تصورها إلا من خلال افتراض الآخر، فهي توجد فقط نتيجة للعلاقة والتفاعل مع الآخرين، إذ لا توجد خاصية جوهريّة موجودة مسبقا، وبحسب هذا النوع من الهوية فإن العلاقة بين الذات والآخر علاقة تبادلية، حيث تلعب درجة معرفة كل منهما بالآخر والتوقعات الضمنية منها حول بعضهما دورا في تشكيل العلاقة بينهما. حتى ولو أن الدولة تريد أن تتخلى عن دور معين قد لا تتمكن من ذلك، لأن الآخر يقاوم ذلك التغيير رغبة منه في المحافظة على هويته هو.

4/ الهوية الجماعية: هي عبارة عن مزيج من هويات الدور وهويات النوع، إذ تحفز الفاعلين لأن يعرفوا رفاه وخير الآخر على أنه جزء من رفاه وخير الذات، وأن يكونوا مؤثرين عقلانيا لتحقيق المصلحة لأن عقلانية العمل الجماعي تحييد اللاعبين الأنانيين، بحيث يعتبر كارل دويتش أن الهوية الجماعية تتحدد من خلال علاقة الذات مع الآخر، ليست اعتبار الآخر آخرا، ولكن اعتباره جزءا من الذات، وهي حالة الدول الأعضاء في وحدة للأمن المتعدد²، وهي الحالة التي يكون فيها تميز الذات غير واضح، ويتم تجاوزه كلية، وذلك عن طريق الوصول إلى درجة التعريف والمماثلة في الهوية بين الذات والآخر، و هنا تصنف الذات على أنها الآخر، وهنا قد يتم التعبير عن الهوية الجماعية في صورة منظمة اقليمية أو دولية مثل الجامعة العربية في حالة الهوية العربية، ومنظمة التعاون الإسلامي في حالة الهوية الإسلامية.

ومما سبق فإن كل من هوية الدور وهوية النوع والهوية الجماعية بالنسبة **لوندت** يمكنها أن تأخذ صيغا متعددة مع الفاعل نفسه وهو ما ينطبق بشكل انتقائي اعتمادا على الحالة التي يكون فيها الفرد أو الدولة على حد سواء³.

المحور الثاني: السمات الأساسية لبنية الهوية.

عند تعريفنا لموضوع ما نكتفي بتعداد بعض من سماته الأساسية، ولكن عندما نريد تقديم تعريف له أكثر دقة، هنا وجب علينا استيفاء السمات الأساسية التي تسمح بتمييزه عن الموضوعات الأخرى، وحتى يمكن لكل سمة من السمات المعينة أن تستوفي التعريف وجب تعريفها لما لها من خصوصية في هذه الحالة.

¹ إيمان رجب، الهوية المركبة أم المصلحة؟، كراسات استراتيجية، القاهرة، مجلد 24، العدد 255، 2015، ص 255.

² السعيد قاسمي، مشروع الديمقراطية في السياسة الخارجية الأمريكية: الأهداف والاستعمالات. الحرب على العراق نموذجا، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر

3 الجزائر، 2013، ص 67.

³ الكسندر وندت، مرجع سابق، ص 314.

فالهوية ليست أحادية البنية، بل هي متعددة البنى، وكل بنية مشكلة من عدة عناصر منها الجغرافي، الديني، اللغوي والمصطلحي... الخ، إضافة إلى الخبرة الذاتية والعلمية والوجدانية، وهي ليست مجموع هذه العناصر، بقدر ما هي محصلة مركبة من عناصر تشكلت عبر الزمن، وتم تلقيحها بالخبرات والتجارب الذاتية والموضوعية السائدة والطارئة عليها، ويرى محمد أمين عالم أن الهوية ليست أحادية البنية أي لا تتشكل من عنصر واحد، سواء كان الدين أو اللغة أو العرق أو الثقافة أو الوجدان أو الأخلاق أو الخبرة الذاتية أو العلمية وحدها، وإنما هي محصلة تفاعل كل هذه العناصر مع بعضها البعض¹.

ويصدق ذلك عندما نتحدث عن الهوية، وعن أسسها التي تتمثل في نسق من الرموز ذات الطابع الإدراكي، والتي تتصل بالهويات الخارجية².

فعندما نريد تحديد هوية جماعية في إطار بنية تنظيمية متكاملة لها وحدة كلية، تشمل عناصر متقاربة ومتكاملة مشكلة عبر ذلك كله حقيقة اجتماعية وجب علينا هوية "الفرد" أو "الجماعة" المنتمي إليها، "الأنا" و "نحن"، وهوية جماعة ما "هم"، مثلما يذهب إلى ذلك هيننتغن، واختيار بعض السمات والإنطلاق من بعض المعايير التي تحدد "الأنا" و "نحن" مقارنة بالآخر "هم" اعتباراً من الخصائص المتجانسة من جهة، والخصائص الذاتية التي تؤكد خاصية التمايز من جهة أخرى³. وبهذا نكون أمام أربعة بنى أساسية مكونة للهوية:

1/- البنية المادية:

فحسب ميكشلي فهي تتمثل في التنظيمات المادية والانتماءات الفيزيائية والقدرات وتأثيرات الوسط، ونشاطات الجماعة (البيئة الحيوية).

المحدد الجغرافي: إن الموقع الجغرافي لجماعة ما (الدولة) له من الأهمية، إذ يمنحها شخصية خاصة، ويوجهها باتجاهات معينة، فيؤثر في قوتها وفي الكيفية التي تكون عليها مصالحها الحيوية وممارسة دورها في وسطها، إذ يقول "روزنو": ((.... إن شكل الأرض، خصوبتها ومناخها، بالإضافة إلى موقعها بالنسبة للأقاليم الجغرافية الأخرى.... يسهم كل ذلك في المحيط السيكولوجي الذي يصوغ من خلاله الساسة والأفراد علاقاتهم وتفاعلاتهم مع الآخر⁴.

وهنا نتساءل عما إذا كانت الجغرافيا مشكلة للهوية، أم أن للهوية جغرافية تعبر عنها بأشكال ومستويات مختلفة، فعلى الرغم من كون الجغرافيا عنصراً من عناصر تشكيل الهوية، فقد أصبحت هذه الأخيرة مشكلة من خلالها، فنعرف الهويات أحياناً في انتسابها الجغرافي، هذا الانتساب الذي يحمل الجغرافيا من خلاله عناصر ذاتية أخرى⁵.

¹ حديجة بن وزرة و عاتكة غرغوط، العلاقة بين الهوية الوطنية والمواطنة، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، الجزائر، العدد 5، 2018، ص 77.

² أليكس ميكشلي، مرجع سابق، ص 17-18.

³ المرجع نفسه، ص 20.

⁴ إيمان ديني، البعد الاقليمي والدولي للسياسة الخارجية التركية (2002. 2023)، أطروحة دكتوراه، (جامعة محمد خيضر بسكرة، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2017)، ص 67.

⁵ باقر سلمان النجار، الفئات والجماعات: صراع الهوية والمواطنة في الخليج العربي، في: أحمد بعلبكي، الهوية وقضاياها، في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط 1، 2013، ص 318.

فهناك من ركز على حتمية المكان وتأثيرها على الإنسان على مختلف الأصعدة، وهي من تصّنه هوية الدولة، وهذا ما ذهب إليه العالم السويدي كيلن الذي استنبط في كتابه "الدولة كائن عضوي" على أن الجغرافيا من تصنع هوية الدول باعتبارها كائن عضوي، وهذا ما أكدته نظرية ماكندر الشهيرة، قلب الأرض الذي يؤيد الحتمية ويعطي للمكان دورا بالغ الأهمية¹.

يعالج مونتييسكيو في مؤلفه "روح الشرائع" تأثير المناخ والجغرافيا في الدولة على الشخصية الوطنية، فيؤثر المناخ تأثيرا مباشرا في الشخصية، ومن ثم تمارس الجغرافيا نفوذها على الدولة، فتؤثر في السلطة/القوة، ويعارض مونتييسكيو تكوّن الهوية الدولية أو إرجاعها لاعتبارات تعود إلى طبيعة بيولوجية بل يرى أنها نتاج العرف والقهر والإكراه لدى البشر، وبما أن الهوية الدولية ليست طبيعية، فيجب إرجاع تفسيرها إلى قدرة بعض المجتمعات على التنظيم والاستعداد بشكل أفضل للحرب والإخضاع، أما الحرية السياسية الموجودة في أوروبا الشمالية، لم تكن نتاج خصال طبيعية فطرية أو حتى سمات ثقافية أصيلة، بل هي نتيجة الجغرافية الطبيعية هي التي حدثت من صراع هذه الدولة، أي الجغرافيا وليست السمات الثقافية على عكس ما ذهب إليه هنتنغتون². هو من أهم سمات البنية المادية ومن أهم خصائص المحدد الجغرافي هي الحدود السياسية، إذ يعتبرها (بارث F.Barth) بأنها علامة للهوية ومكونا أساسيا لها، إذ لا يمكن تصور هوية دون حدود سياسية لأنها تستعمل كأدوات إقصاء فهي تجسد الشعور بالوطنية لدى معتقدات الشعوب³.

وهذا ما ذهب إليه ابن خلدون فهو يعتبر "الحدود" لها الأثر الكبير في تشكيل المجتمع مما يجعله يحمل صفات موحدة ويمتلك رؤية موحدة تجاه مجمل القضايا التي تحيط به، وبحسب هذا المحدد قسمت الأمم⁴. لقد أثبتت التطورات التاريخية أن الانتماء القومي والإثني والديني من أقوى الانتماءات، ففكرة انصهار الجماعات في بوتقة واحدة أثبتت فشلها في جميع الأنظمة السياسية والاجتماعية المعاصرة، أي أنه لا يمكن أن توجد هوية جماعية معينة إلا بوجود هويات أخرى، وهذه الحقيقة تؤكد أهمية الحدود بين الجماعات وخصوصا التي تتشكل على الأسس نفسها (قومي، إثني، ديني...).

فالحدود السياسية هي حدود للهوية، فذكر أي مجال جغرافي تبادرت إلى الذهن بعض حدوده الثقافية والاجتماعية التي يعرف بها، وهي غالبا ما تتمثل في دائرتين متقاطعتين، الأولى سياسية جغرافية تشمل الحدود القانونية للدولة، والثانية إثنية ثقافية تشمل السمات المميزة للمجموعات داخل الدولة، في إطار الهوية الوطنية والهويات الفرعية⁵.

¹ عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الجزء 2، ب ت ن. ص 69، 70.

² فرنسيس فوكاياما، النظام السياسي والانحطاط السياسي، ترجمة: معين الامام، منتدى العلاقات العربية الدولية، الجزء 02، قطر، ط 1، 2016، ص ص 297، 298.

³ شريفة بريجة، تحديات الهوية الثقافية أمام الحدود السياسية بالمجتمعات الحدودية، الجزائر، مجلة الحقيقة، مجلد 18، عدد 2، 2019، ص 281.

⁴ أسماء حمايدية، مرجع سابق، ص 95.

⁵ شريفة بريجة، مرجع سابق، ص 281.

إلا أنه وفي هذا الصدد وبالرغم من أن الحدود حامية للهوية إلا أن الهوية تتجاوز الحدود السياسية وتتجاهلها أحيانا كثيرة، وهذا ما نستشفه في الحدود المتجاوزة وما نعيشه من تداخل هوياتي¹، مثلما هو الحال بالنسبة للحدود التركية السورية، العراقية، الإيرانية، إذ توجد هناك جماعات إقليمية يتقاسم سكانها نفس اللغة والعرق والعادات والتقاليد، الأكراد نموذجا.

2/- البنية التاريخية: بنية التاريخ والتراث.

الهوية هي انصهار الذوات في بوتقة واحدة هي "الجماعة" بمعنى "نحن" عندما تمتد في الزمان والمكان امتدادا يفوق عمر الفرد، أي عندما تنتفي الحدود الفردية بين الفرد "الذات" وبين الآخرين في كل موحد هو "الجماعة" حيث تنتقل "نحن" من حيز الحس إلى حيز التجريد، ومن حيز المكان المحدد زمانيا إلى حيز المكان الممتد في الزمان والمكان، لتشكل هذه "نحن" هوية الضمير الجمعي والوعي الاجتماعي .

علاقة أية أمة بتاريخها وتراثها علاقة عميقة ومؤثرة لأنهما يشكلان سندا لها ومصدرا تستلهم منه القدرة على الصمود والاستمرار والتقدم، ولأن من شأنهما أن يضيفا حتى لا شعوريا على الأمة خصائص وسمات تميزها عن الأمم الأخرى، فهي تؤثر في التكوين النفسي للأفراد والمجموعات².

يرى نديم البيطار أن : "هوية الأمة هي هوية تاريخية، والتاريخ هو الذي يشكلها، أي لا وجود لهوية خارج المجتمع والتاريخ، فالأمة وحدها تملك الهوية، وهوية الفرد من هوية الجماعة، كما أنه ليس بإمكان أية قوة أن تفرض هوية ما على مجموعة من الناس من دون اختيار حر من طرفهم"³.

وحسب عابد الجابري فالهوية ليست معطى جاهزا ونهائيا، بل هي كيان يصير ويتطور إما في اتجاه الانكماش، وإما في اتجاه الانتشار، وهي تعني بتجار أهلها ومعانائهم بانتصاراتهم وتطلعاتهم، وأيضا باحتكاكها سلبا وإيجابا مع الهويات الثقافية الأخرى، إذن هي مجموعة مكتسبات من المعارف والتصورات والممارسات الفكرية لدى الإنسان في محيطه الاجتماعي والتي تلقاها لمصلحته ومصلحة هذا المحيط.

ولهوية الأمة حدود تنشأ وفقا لظروف تاريخية معينة، وهذه الحدود لاهي أزلية، ولاهي ظرفية متغيرة بسرعة، ويذهب نديم البيطار في هذا الصدد إلى اعتبار الهوية بأنها نسبية وتاريخية، ومنظورة لا ثابتة وجامدة، ليست جوهر متأصلا بل هي خلاصة تاريخ خاص من التجارب الثقافية والحضارية لأمة من الأمم فيقول: "إننا نصنع بما سبق أن صنعناه"⁴.

¹ المكان نفسه.

² عبد الرحمن منيف، القومية والهوية والثورة العربية، في: أحمد بعلبكي، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2013، ص77

³ عفيف البوني، في الهوية القومية العربية، في: أحمد بعلبكي، الهوية وقضاياها، في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2013، ص24.

⁴ المرجع نفسه، ص26

إن الذاكرة التاريخية التي تتشكل نتيجة لمجموعة من الأفكار والمعتقدات والقيم والعلاقات والتفاعلات بين مكونات المجتمع هي التي تؤسس لبناء هويات الدول والأمم والجماعات، فتتمايز الأمم بهوياتها التي صنعتها عبر التاريخ، وتصبح الهوية وكأنها شيء يرتبط بماضي الأمة فقط، بينما الهوية في حقيقتها دافع دائم للبحث عن صيغة أفضل لحياة الأمة في المستقبل، الأمر الذي يجعل الهوية دائمة الحضور في الوجود التاريخي للأمة دونما انقطاع¹.

وهنا يربط **هالبواش** بين التاريخ والدين بالذاكرة الدينية، بين نظامين للزمن، الزمن المتعلق بالتاريخ والزمن الأزلي في أداء الطقوس، حيث يتم تقاسم هذا الاعتقاد وسط الجماعة بما يتيح ويساعد في رسم حدودها وتحديد سمات الانتماء إليها والتماثل معها، إذ تمثل الأساطير والطقوس الأدوات الفكرية الكبرى، وتندمج بوصفها أحد أكبر الانجازات البشرية مع الحكايات والقصص التي تقيم حقيقة متخيلة منبثقة من السير الذاتية التاريخية.

إذ تركز الممارسة الطقسية خلود الظاهرة الاجتماعية التاريخية أو الأسطورية التي خلقتها، وذلك عبر تكرار القواعد التي تركز إليها بدون تغيير، لأنها تسمح بالحفاظ أو إصلاح توازن مهدد دائماً بتحديات الواقع، وبهذا تلجأ الشعوب جراء معاناتها أو في مواجهة التحديات إلى ممارسة طقسية معينة محددة في محاولة الحفاظ على الهوية من خلال العودة إلى الجذور، فإنها تقوم بعملية ارتكازية إجمالاً كتعبير دفاعي، فهي تعد أحد أقوى الأسلحة الثقافية المستندة على التاريخ، وأشد أنواع الدروع الإيديولوجية، وبالتالي وبهذه الطريقة يمتلك الأفراد وسائل لتهدئة القلق الذي يثير استيلاّب الحاضر وشكوك المستقبل².

أما التراث فهو تلك الحصيلة من المعارف والعلوم والفنون والآداب والعادات والإنتاج المادي التي تراكمت عبر التاريخ، وكان نتيجة جهد مشترك ومتواصل لمجموع الأمة وانتقل كله أو أجزاء منه من جيل إلى جيل، بمقدار ما يمكن أن يشري الحاضر والمستقبل، ويزود الجيل الحاضر والأجيال القادمة بخبرات ومعارف كبيرة، ليشكل بالتالي مظاهر مادية ونفسية، ونمطا في السلوك والعلاقات، فيمكن أن يكون عنصر إثراء وتقدم، لا أن يكون سببا في التخلف وتكريس الماضي³.

لقد تم استغلال وفهم التاريخ والتراث خطأ من طرف نظريتين متناقضتين تماما، الأولى نجدها تشيد بهما وترفعهما إلى مصاف التقديس وخاصة في مواجهة حاضر مليء بالظلم والاستغلال والضعف، والثانية نظرة ترى في نفسها عصرية وعلمية تجرد الماضي من كل فضيلة وتعتبره عبئا على الحاضر وتحمله سبب الفشل والتخلف الحالي، إذ تطالب بقطيعة مع هذا الماضي وهذا ما هو حاصل في تركيا اليوم.

إن التاريخ ذاكرة للأمة، فكلما كانت هذه الذاكرة حافظة وقادرة على التمييز والاستفادة من تجارب الماضي، كلما توافرت قدرة إضافية تساعد على مواجهة أعباء الحاضر والمستقبل، ويصبح عاملا مساعدا على النهوض والتقدم⁴.

¹ المكان نفسه.

² عبد الغني عماد، سوسولوجيا الهوية: جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2017، ص ص 94-93.

³ عبد الرحمن منيف مرجع سابق، ص 79.

⁴ المكان نفسه.

3/- البنية الثقافية النفسية:

الثقافة هي بناء مركب تشمل المادي والروحي والرمزي والواقعي، الإيتيقي والمعرفي، غير أن أهم ميزة تتميز بها الثقافة المعاصرة هي سعيها لكي تكون محايثة Immanence للإنسان قريبة منه باعتبارها نتاج تفاعله مع الواقع، لذلك أن تستوعب طموحاته وذلك عبر تحررها من التعالي¹.

فهو مدى إدراك ومعرفة الذات القومية للسمات والخصائص التي يتميز بها شعب ما عن غيره من الشعوب، إذ ترتبط هذه الخصائص بالسلوكيات العامة لجموع الأفراد والعادات السائدة المكونة لها من قيم وأخلاق ودين ولغة وعادات وتقاليد، والتي تميز في مجموعها هذه الجماعة أو هذا المجتمع².

1: الدين.

تطرح إشكالية العلاقة بين الدين والثقافة، هل تقوم على التنافر والصدام بحيث حين تحضر الثقافة يتوارى الدين وحين يحضر الدين تختفي الثقافة؟ أي إذا كان الدين ليس هو الثقافة، وبالوقت نفسه لا يمكن أن يوجد خارج ثقافة ما؟ يصبح التداخل بين الحقيقتين جدليا ومنتجا للمعنى بشكل دائم، وفي المقابل إذا كان الدين هو الثقافة يصبح التداخل بين الحقيقتين وظيفيا ومنتجا للمعنى بشكل مؤقت وتاريخي، ويفضي ذلك إلى أن اختزال الثقافة بالدين، أو محو الدين بالثقافة في الحالتين سيبقى التوتر بين الحقيقتين، ولن يؤدي إلى إنتاج ديني محض مستقل عن الثقافة أو ثقافي خالص مستقل عن الدين³.

إن البعد الديني قد ساهم دوماً، بشكل أو بآخر في تبلور الهوية الجماعية، وبما أن انتشاره لم يربط في كل زمان ومكان بفترات الانحطاط أو بالتطور الاقتصادي والاجتماعي⁴.

وعرف دوركهيلم الدين باعتباره ظاهرة يمكن تحليلها اجتماعيا، إذ تعتمد استبعاد أي مرجعية إلى الإله أو الخوارق الطبيعية، لأنها في نظره ليست المصدر بل هو مجرد بنية اجتماعية، ومن هذا المنطلق كان تعريفه متمحورا حول الاثنية، و يركز على ما يؤديه الدين من وظائف تجاه الفرد مولدا لديه الحافز والروح المعنوية، وتجاه المجتمع مقويا للتكامل الاجتماعي⁵، وعلى العكس من دوركهيلم يؤكد روبرت بيلا Robert Bella إمكانية أن تكون تلك الطقوس محركا للعصيان تماما كما هي محرك نحو التماسك الاجتماعي، فالطقوس والأساطير والرموز المقدسة ليست بالمعطاة فحسب، بل من الممكن أن يتم التلاعب بها طلبا لتحقيق أجندة سياسية معينة⁶.

¹ عبد الغني عماد، مرجع سابق، ص78.

² محمد منير حجاب، الموسوعة الاعلامية، دار الفجر، القاهرة، 2003، ص 2609.

³ عبد الغني عماد ، مرجع سابق، ص 77.

⁴ علي الكنز، الإسلام والهوية: ملاحظات للبحث، في: أحمد بعلبكي، الهوية وقضاياها، في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2013، ص 190.

⁵ جون سكوت، علم الاجتماع: المفاهيم الأساسية، ترجمة: محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2009، ص ص 203-207.

⁶ المرجع نفسه، ص205.

2: اللغة.

الثقافة بلا لغة هي ضرب من المحال، وكلما صارت الثقافة أكثر تعقيدا، ازدادت الحاجة إلى الاتصال، فإن القدرة على التفكير الرمزي والمجرد هو ما تحتاج إليه اللغة، فاللغة والقدرة على الاتصال بها، يعتبران شرطا أساسيا وضروريا لأي مجتمع إنساني¹. ليست اللغة مجرد أداة أو وسيلة للتبليغ، وكذلك ليست مجرد وعاء تودع فيه الأفكار، بل فهي على مستوى الماضي "الذاكرة الجماعية للأمة" الحافظة لخلاصة تجربتها في التاريخ وحصيلة ما أسست لنفسها من أساليب النظر والفكر والتقييم والاكتشاف، وهي على مستوى الحاضر خير معبر عن الهوية القومية للأمة، وما انتهت إليه من درجات النضج والنمو، وهي على مستوى المستقبل طريق وحيد لكل نمو داخلي عضوي يمكن أن يستفيد من التجارب الإنسانية².

فاللغة إذا تحمل ملامح من شخصية الأمة التي تتكلمها، وتتصل بخلفياتها الحضارية والفكرية والثقافية، وما اكتسبته من أساليب النظر والتفكير والفهم، فهي عنصر أساسي للهوية الثقافية.

ويربط جاك دريدا Jacques Derrida بين الهوية واللغة، ويعتبر الأخيرة أهم مكون للهوية، إذ يقول: ".. اللغة هي الهوية الكبرى التي تنضوي تحتها تلك الهوية الفرعية الأخرى من دين أو عشيرة أو جماعة ما.."، فتحديد الهوية يعزز بواسطة اسم اللغة التي تفي بالوظيفة الرمزية للتمثيل على المستويين الاجتماعي والفردية، إذ لا يمثل الانتساب إلى العشيرة أو الجماعة فقط، وإنما يمثل كل أنواع الولاء إلى الدين وإلى الزعيم السياسي وإلى الإيديولوجيا³.

4/- البنية الاجتماعية النفسية:

يُعرف المجتمع على أنه مجموعة من الناس تجمعهم ثقافة مشتركة ويتفاعلون فيما بينهم طبقا لنظم وقواعد وقوانين يتفقون عليها فيما بينهم، ولهم أهداف موحدة وشعور بالعضوية، ومثلما تؤثر الجغرافيا والبيئة على حياة الإنسان من خلال العوامل المناخية، يؤثر المجتمع على الإنسان من ناحية التقاليد والعادات والأعراف والقيم والمعايير التي أوجدها وحققها، لكي توجه وتضبط سلوك الفرد وتنظم علاقاته مع الآخرين، سواء أفراد أو جماعات.

إذن ليست هوية الجماعة ذات طابع موضوعي بقدر ما تمثل بناء اجتماعيا تجسد الجماعة من خلاله وحدتها وتميزها عن الجماعات الأخرى، وبالتالي فتأكيد الهوية هو وسيلة من الوسائل التي تحاول الجماعة بواسطتها تعزيز وحدتها وتماسكها، وإبراز موقعها في العلاقات مع الجماعات الأخرى⁴.

¹ عبد الغني عماد ، مرجع سابق، ص62.

² عبد العزيز العاشوري، اللغة العربية والهوية الثقافية وتجارب التعريب، في: أحمد بعلبكي، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2013، ص268.

³ علي بوسكرة، الهوية العربية وتحديات العولمة بين الرفض والقبول، الجزائر، مجلة تطوير، عدد7، 2019، ص:117.

⁴ يوسف نصر، زينب مايدي، الهوية المهنية: الانتقال من الهويات الفردية إلى الهويات الجماعية، الجزائر، مجلة الباحث الاجتماعي، عدد13، 2017، ص:417.

بما أنه ينظر إلى المجتمع على أنه هوية اجتماعية ذات سيادة مع دولة وطنية في مركزها تنظم الحقوق والواجبات لكل مواطن، وتتكون العلاقات بين كل من السياسة والاقتصاد والثقافة... على يد مثل هذا المجتمع الذي ينظم حظوظ حياة كل فرد فيه، وأنه ليس ماديا فقط، بل إنه ثقافي أيضا، لذا يؤمن أعضاؤه أنهم يتشاركون في هوية مشتركة تربط بصورة ما مع الأرض التي يقيم قوتها هذا المجتمع ومحور أي مجتمع هو الوطنية التي هي جزء من كيفية تفكير الناس وعيش حياتهم، بصفتهم كائنات بشرية، إذ يقوم أفراد كل مجتمع بأمور متشابهة معا، ويتشاركون في المعتقدات نفسها¹، فيفهم المجتمع هنا على أنه منتظم في شكل دولة وطنية ذات حدود إقليمية ومواطنة واضحة ونظام الحكم لمواطنيها.

وبما أن مفهوم الهوية يعني المطابقة بين شيئين في نسق وحدة موحدة، فإن الانتماء يشكل جذر الهوية الاجتماعية، فهو جواب عن سؤال الهوية في صيغة من نحن؟ وصورة الوضعية التي يأخذها الإنسان إزاء جماعة أو عقيدة فيقول مجدي أبو زيد مؤكدا على أهمية الانتماء: "...يعد الانتماء محورا مفصليا يكشف الكثير عن الآلية النفسية التي تتحكم في علائقية المجتمع بأفراده..". وما زال الكثيرون ينظرون إليه على أنه يخص الجانب السياسي وتحليلاته في حين انه يتجذر في كافة الجوانب الاقتصادية والثقافية والاجتماعية².

وهذا ما ينصرف إليه ميكشلي في علاقة الهوية بالانتماء: "الإحساس بالهوية مركب من المشاعر المادية، ومركب من مشاعر الانتماء والتكامل، والإحساس بالاستمرارية الزمنية، والتنوع والقيم والاستقلال..." فالهوية المتكاملة هي الهوية التي تمتلك ديناميتها الداخلية وتسعى إلى تأكيد وجودها وتحقيق ذاتها³.

إذن الهوية كيان يجمع بين انتماءات متكاملة، وهوية المجتمع تمنح أفرادها مشاعر الأمن والاستقرار والطمأنينة، فالهوية القومية تمنح أبناء الأمة الشعور بالأمن والاستقرار حسب ميكشلي .

المحور الثالث: تأثير الهوية على السياسة الخارجية.

على ضوء ما سبق من تعريف الهوية والبنى المكونة لها نجد أنفسنا أمام تعريف مركب على أنها: "فهم محدد للدور وللتوقعات الخاصة بالذات والآخر، فهي تتألف من مجموعة من البنى ذات عناصر وسمات تجعل الفاعل متمائزا عن غيره من الفاعلين، وهي تضم بنية مادية ذات عناصر كالموقع الجغرافي، الثروة، القوة النسبية التي تمارس بها الدولة نفوذها، وبنى غير مادية متكونة من التقاليد والقيم المشتركة التي تجعل من الجماعة يتصرفون ككيان جماعي، لها انتماء ديني وإرث وتاريخ وثقافة تشاركها داخل كيان واحد، وهي التي بدورها تحدد فهم الفاعل لذاته أي لدوره داخليا وخارجيا في تفاعلات خارجية مستقلة تجاه الآخرين في نسق دولي بما يسمى سياسة خارجية.

ومن هنا نكون أمام هوية الدولة، ومدى الأثر الذي تتركه على السياسة الخارجية بصفتهما فاعلا اجتماعيا في وسط إقليمي ودولي يحمل صفات خاصة تميز الفاعلين الآخرين، ويسعى إلى تحقيق أكبر قدر من المصالح والأهداف عبر التفاعل بين وحداته،

¹ جون سكوت، مرجع سابق، ص 336.

² المرجع نفسه، ص 154.

³ أليكس ميكشلي، مرجع سابق، ص ص 129-130.

بمعنى إلى أي مدى يمكن للقيم والأفكار والمعتقدات أن تحدد السلوك السياسي الخارجي للدولة وتوجهه؟ مع تحديد رؤية الدولة لذاتها وللآخر.

وبما أن السياسة الخارجية للدول تتأثر بالمحددات الداخلية كالقيم والأفكار، وهذا ما ذهبت إليه البنائية الاجتماعية على عكس الواقعية التي لا ترى في هذه المحددات ذلك التأثير، يقول أليكس ماكليود: (...إن مسألة الهوية تحيل إلى سؤال هو: من نحن؟ أي محاولة تعريف "الذات" وهذا جوابه يكون على المستوى الوطني الداخلي)، أي يمكننا القول أن الهوية بمجموعها من المعتقدات والقيم والآراء والمواقف تحدد الذات والآخر، تتقاسمها فئة كبيرة من أعضاء الكيان الوطني، هذه القيم، والاتجاهات والآراء تتضمن القيم والمعايير الثقافية، وإدراك الأدوار التي تلعبها الدولة في السياسة العالمية، والمكانة التي تتوقع الدولة احتلالها بين الدول الأخرى. والهوية الداخلية لا يمكن تعريفها إلا عبر التمثيلات التي تكون لأعضاء الدولة عن المحيط الخارجي، وكذلك فإن تعريف الهوية الخارجية يركز بشكل حاسم على مصادر من داخل الدولة، أو من المجتمع الذي يشكل الدولة، فالهوية الداخلية لا يمكن أن تعرف إلا عبر المفاهيم التي أعضاء دولة ما عن المحيط الخارجي، كما أن تعريف الهوية الخارجية يستمد مصدره من داخل الدولة¹. إذا يمكن القول أن الهوية هي الدافع للسلوك الخارجي للدولة، مما يؤدي بها إلى التقارب وعقد التحالفات مع دول أخرى تشارك معها ذات الهوية، ولا تؤدي بالضرورة إلى الصراع كالدول الديمقراطية، وهذا ما ذهب إليه هنتنغتون بالقول: "... إن الشعوب ذات الثقافات المتشابهة تتقارب، والشعوب والدول ذات الثقافات المختلفة تتباعد... في العالم الجديد أصبحت الهوية الثقافية هي العامل الرئيسي في تحديد صداقات دولة ما وعداواتها"².

وفي هذا الصدد يكون البحث والتساؤل حول طبيعة تأثير الهوية على السياسة الخارجية للدول في علاقاتها مع باقي الوحدات في النظام الدولي، فيمكن التمييز بين ثلاثة اتجاهات رئيسية حول مدى هذا التأثير:

1/ الهوية ذات التأثير المباشر على السياسة الخارجية:

تعتبر إسهامات وندت واحدة من الإسهامات في هذا الاتجاه، حيث يقول: "إن الهوية تنمو وتتطور عبر نوعين من الاختيار الطبيعي والثقافي، مع ذلك حالما توجد الدولة أو تخلق ثقافة لوكية يصبح الاختيار الطبيعي غير مهم لأنها لم تعد معرضة للفناء، ومثال ذلك (محاولة غزو العراق للكويت)، ومن هنا فإن الاختيار الطبيعي لن يكون عاملاً مهماً في تطور هويات الدول في المستقبل، لأن الدول الأنانية كانت مدفوعة للانقراض بسبب فشلها في التكيف³.

وللهوية الجماعية حدود وقيود، أبرز هذه الحدود أن الهوية الجماعية تعتمد على العلاقة، فتطبيقات الهوية الجماعية على المجال والسلوك يعتمد على الأغراض التي شكلت هذه الهوية من أجلها، تكون محددة بالقضية أو التهديد الذي شكلت من أجله، ففي الثقافة اللوكية، تتماثل بعض الدول مع بقاء بعضها، فتهديدات القتل لإحداها تعد تهديداً للجميع، ولكن ذلك لا يمتد إلى

¹ السعيد قاسمي، مرجع سابق، ص 66.

² صامويل هنتنغتون، صدام الحضارات.. إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، سطور، ب د ن، ط 2، 1999، ص 203.

³ وندت، مرجع سابق، ص 443.

تماثل الأمن بعضها مع بعض، لوجود ثقافة مساعدة الذات، أما الثقافة الكانتية فالتماثل أوسع لينتج فعلا جماعيا في مواجهة تهديدات عسكرية، وليس تهديدات القتل فقط¹.

وتذهب ليزبيث اغيستام في ذات الاتجاه حيث تعتبر أن السياسة الخارجية للدولة ما هي إلا انعكاس للتصورات الخاصة بهوية الدولة، وهذه التصورات هي ما يحدد مصالحها وطموحاتها ومكانتها في النسق الدولي، وتميز بين الصديق والعدو، وترى أن تلك التصورات التي رسمتها لها هويتها مستقرة أصلا في التاريخ الوطني والإرث الحضاري، وللقادة وتصورات البنية الداخلية والخارجية علاقة بتغييرها وإعادة صياغتها بحيث يتماثل مع هوية "الأنا" والتي هي في حالة نمو وتطور، و"الآخر"².

2/ التأثير غير المباشر للهوية على السياسة الخارجية:

يرى أندريه تسيغانكوف أنه ليس للهوية تأثير مباشر على السياسة الخارجية للدول، وإنما تؤثر بشكل غير مباشر إذ يمر تأثيرها عبر متغيرين وسيطين، يتعلق الأول بمتغير مجتمعي: أي بنية المجتمع ومدى قوة التنظيمات الاجتماعية فيه، ودرجة تجانس المجتمع ايدولوجيا وطبقيا، وما تحمله من ضغوط واستقطاب اجتماعي لبناء تحالفات اجتماعية لها القدرة على التأثير، أما المتغير الثاني: فينطلق من بناء التحالفات الاجتماعية لشبكة علاقات تربط بين الدولة والمجتمع ذاته، أي أن الذي تكون له السيطرة داخل البناء الاجتماعي على شبكة العلاقات يمكنه بناء التحالفات السياسية، وداخل هذا البناء والتنظيم يحدد تسيغانكوف نمطين يساعدان في التأثير على السلوكيات الخارجية للدولة، فالأول يكمن في التأثير البنائي، أي مجموعة القيم والأفكار التي تحدد توجهات صانع القرار على فهم الوضع السياسي، وتعديل مفهوم المصلحة لديه، أما النمط الثاني فيكمن في التأثير التنظيمي، أي الهوية هي ما ينظم سلوك الدولة³.

وهناك نمط ثالث أغفله تسيغانكوف إذ يشير وندت إلى أن الفهم الذاتي سوف يعتمد على ما إذا كان الفاعلون الآخرون يعترفون بذلك الفاعل بنفس الطريقة التي يرى بها ذاته، وبهذا الشكل تكون للهوية صفة منظومية ومرتبطة أيضا بفهم الآخرين الذاتي للفاعل، فهناك نوعان من الأفكار يمكن أن يدخل في الهوية، تلك الأفكار التي تعتنقها "الذات" وتلك الأفكار التي يعتنقها "الآخر"، فالهويات يتم تشكيلها بواسطة أبنية داخلية وأخرى خارجية⁴.

¹ المرجع نفسه، ص 459.

² Aggestam, Lisbeth, 1999: **Role conceptions and the politics of identity in foreign policy**, Department of political science university of STOCKHOLM, ARENA WORKING Papers WP 99/8 P:81

³ إيمان رجب، الهوية أم المصلحة: ما الذي يتحكم في علاقات الدول الخارجية؟، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، 47(186)، 2011، ص 15.

⁴ وندت، مرجع سابق، ص 313.

3/ السياسة الخارجية مشكلا للهوية:

وهنا تكون السياسة الخارجية هي العامل الأساسي في تشكل هوية الدولة، وخاصة الدول التي تعاني من أزمة هويات، ومن داعمي هذا الاتجاه نجد **ديفيد شاندلر** إذ يعتبر أن دخول أمريكا في حروب عسكرية خارج حدودها كان الهدف من ورائه السعي إلى تعزيز عملية داخلية لبناء هوية وطنية يعاد تعريفها.

ولكن يبدو أن الإنسان المعاصر يشعر بأزمة هوية وانتماء، تتسم بطابع العمق والشمول، لأن هذا الإنسان يعيش في ظل كيانات اجتماعية متعددة ومتعارضة، أي كيان مركب معقد، تتداخل فيه عناصر الولاءات المحلية بالولاءات الوطنية، ولا تتطابق فيه الجغرافيا مع حدود المشاعر، ولا حدود السياسة مع حدود الأمة، ومع هذا التعارض يؤدي إلى حالة من الانشطار في الهوية الاجتماعية¹.

إلا أنه في الوقت الذي يكون فيه المجتمع متعددًا بانتماءات وفئات وجماعات عرقية أو دينية أو سياسية أو اجتماعية يتوجب على السياسيين العمل على دمج هذه الانتماءات المتنوعة من أجل الوصول إلى هوية مشتركة تمثل مصالح الجماعة، يعني ضمان عدم التضارب بين الهوية المشتركة والهوية الفردية، فتصبح السلطة هي القادرة على منح هذه الهوية المشتركة، وذلك من خلال مؤسساتها المختلفة، وتصبح بذلك الهوية الفردية جزءًا من الهوية المشتركة، ولكن هذا التباين يحتاج إلى الروح الديمقراطية التي يمكنها أن تحقق التلاحم الوجودي بين مختلف التكوينات الاجتماعية الصغرى في ظل البناء القومي أو الوطني الكبير².

خاتمة:

وفي النهاية نخلص إلى أن الهوية عبارة عن مركب ينتج عن تفاعل مجموعة من السمات والخصائص والأبعاد المكونة بالأساس لأربعة أبنية مادية وتاريخية وثقافية واجتماعية، وان التفاعل بين مكونات تلك الأبنية هو ما يقودنا في المحصلة إلى هوية مركبة، لا يمكن أن نغفل عن دورها في محاولة فهم السلوك الخارجي للدولة تجاه نسقها الدولي الذي تتفاعل فيه.

¹ علي أسعد وطفة، إشكالية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية المعاصرة، في: أحمد بعلبكي، الهوية وقضاياها، في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2013، ص 153.

² المرجع نفسه، ص 159.

قائمة المراجع:

الكتب:

- البوني عفيف، في الهوية القومية العربية، في: أحمد بعلبكي، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، (مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2013).
 - العاشوري عبد العزيز، اللغة العربية والهوية الثقافية وتجارب التعريب، في: أحمد بعلبكي، الهوية وقضاياها ، في الوعي العربي المعاصر، (مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2013).
 - الكنز علي، الإسلام والهوية: ملاحظات للبحث، في: أحمد بعلبكي، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، (مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2013).
 - الكيالي عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لجزء2، ب ت ن).
 - النجار باقر سلمان، الفئات والجماعات: صراع الهوية والمواطنة في الخليج العربي، في: أحمد بعلبكي، الهوية وقضاياها ، في الوعي العربي المعاصر، (مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2013).
 - الياس نوربرت، مجتمع الأفراد، ترجمة: هاني صالح، (دار الحوار، سوريا، 2014).
 - حجاب محمد منير، الموسوعة الاعلامية، (دار الفجر، القاهرة، 2003).
 - حسنين حسن حنفي، الهوية، (المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، طبعة 1، 2012).
 - سكوت جون، علم الاجتماع: المفاهيم الأساسية، ترجمة: محمد عثمان، (الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2009).
 - عماد عبد الغني ، سوسيولوجيا الهوية: جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء، (مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2017).
 - فوكاياما فرنسيس، النظام السياسي والانحطاط السياسي، ترجمة: معين الامام، (متمدى العلاقات العربية الدولية، الجزء2، قطر، ط1، 2016).
 - لبيض سالم، الهوية: الإسلام، العروبة، التونسية، (مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت: ، طبعة 1، 2009).
 - مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، (الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 2000).
 - منيف عبد الرحمن، القومية والهوية والثورة العربية، في: أحمد بعلبكي، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، (مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2013).
 - ميكشلي أليكس، الهوية، ترجمة: علي وطفة، (دار الوسيم للخدمات والطباعة، دمشق، الطبعة 1، 1993).
 - هنتنغتون صامويل، صدام الحضارات..إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، (سطور، ب د ن، ط2، 1999).
 - وطفة علي أسعد، إشكالية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية المعاصرة، في: أحمد بعلبكي، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، (مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2013).
 - وندت الكسندر ، النظرية الاجتماعية للسياسة الدولية، ترجمة: عبد الله جبر صالح العتيبي، (جامعة الملك سعود، السعودية، 2005).
- Aggestam, Lisbeth, 1999 :Role conceptions and the politics of identity in foreign policy, Department of political science university of STOCKHOLM, ARENA WORKING Papers WP 99/8

المقالات:

- المهدي العبيدي حبيب صالح، دراسة في مفهوم الهوية، مجلة دراسات اقليمية، جامعة الموصل:مركز الدراسات الاقليمية، العراق، المجلد 5 العدد 13، 2009.
- بريحة شريفة، تحديات الهوية الثقافية أمام الحدود السياسية بالمجتمعات الحدودية، الجزائر، مجلة الحقيقة، مجلد 18، عدد2، 2019.
- بن وزرة خديجة و غرغوط عاتكة، العلاقة بين الهوية الوطنية والمواطنة، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، الجزائر، العدد5، 2018.
- بوسكرة علي، الهوية العربية وتحديات العولمة بين الرفض والقبول، الجزائر، مجلة تطوير، عدد7، 2019.
- حمادية أسماء، تأثير متغير الهوية الوطنية في السياسة الخارجية التركية، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، الجزائر، عدد 12، 2018.
- رجب ايمان، الهوية المركبة أم المصلحة؟، كراسات استراتيجية، القاهرة، مجلد24، العدد255، 2015.
- رجب ايمان، الهوية أم المصلحة: ما الذي يتحكم في علاقات الدول الخارجية؟، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، 47(186)، 2011.
- نصر يوسف، مايدي زينب، الهوية المهنية: الانتقال من الهويات الفردية إلى الهويات الجماعية، الجزائر، مجلة الباحث الاجتماعي، عدد13، 2017.
- الدراسات غير المنشورة:
- أبو عنزة محمد عمر أحمد، واقع اشكالية الهوية العربية، بين الأطروحات القومية والإسلامية، دراسة في منظور فكري، رسالة ماجستير، (قسم العلوم السياسية، كلية الأدب والفنون، جامعة الشرق الأوسط، 2011).
- قاسمي السعيد، مشروع الديمقراطية في السياسة الخارجية الأمريكية:الأهداف والاستعمالات . الحرب على العراق نموذجاً، أطروحة دكتوراه، (جامعة الجزائر 3 ، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية،الجزائر، 2013).
- دني ايماني، البعد الاقليمي والدولي للسياسة الخارجية التركية(2002- 2023)، أطروحة دكتوراه،(جامعة محمد خيضر بسكرة،قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية،2017)

مواقع الانترنت:

علي تعوينات، الذات والهوية في سيكولوجية الشخصية، مقال منشور على الموقع الإلكتروني:
<http://educapsy.com/etudes/soi-identité-personnalité-102>